من ذلك إلا من شاء ا D أن يؤمن فصح يقينا أنه لا يؤمن إلا من شاء ا إيمانه ولا يكفر إلا من شاء ا كفره فقال تعالى حاكيا عن يوسف عليه السلام أنه قال وأن لا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن فبالضرورة نعلم أن من صبا وجهل فإن ا تعالى لم يصرف عنه الكيد الذي صرفه برحمته عمن لم يصب ولم يجهل وإذ صرفه تعالى عن بعض ولم يصرفه عن بعض فقد أراد تعالى إضلال من حبا وجهل وقال تعالى وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا فليت شعري إذ قال تعالى إنه جعل قلوب الكافرين في أكنة أن يفقهوا القرآن وجعل الوقر في آذانهم أتراه أراد أن يفقهوه أو أراد أن لا يفقهوه وكيف يسوغ في عقل أحد أن يخبر تعالى أنه فعل D شيئا لم يرد أن يفعله ولا أراد كونه ولا شاء إيجاده وهذا تخليط لا يتشكل في عقل كل ذي مسكة من عقل فصح يقينا أن ا تعالى أراد كون الوقر في آذانهم وكون الآكنة على قلوبهم وقال تعالى ولو شاء ا لجعلكم أمة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء فنص تعالى على أنه لم يرد أن يجعلنا أمة واحدة ولكن شاء أن يضل قوما ويهدي قوما فصح يقينا أنه تعالى شاء إضلال من ضل وقال تعالى مثنيا على قوم ومصدقا لهم في قولهم قد افترينا على ا كذبا إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا ا منها وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء ا ربنا فقال النبيون عليهم الصلاة والسلام وأتباعهم قول الحق الذي شهد ا D بتصديقه أنهم إنما خلصوا من الكفر بأن ا تعالى نجاهم منه ولم ينج الكافرين منه وأن ا تعالى ان شاء أن يعودوا في الكفر عادوا فيه فصح يقينا أنه تعالى شاء ذلك ممن عاد في الكفر وقد قالت المعتزلة في هذه الآية معنى هذا إلا أن يأمرنا ا بتعظيم الأصنام كما أمرنا بتعظيم الحجر الأسود والكعبة .

قال أبو محمد وهذا في غاية الفساد لأن ا تعالى لو أمرنا بذلك لم يكن عودا في ملة الكفر بل كان يكون ثابتا على الإيمان وتزايدا فيه وقال تعالى في قلوبهم مرض فزادهم ا مرضا فليت شعري إذ زادهم ا مرضا أتراه لم يشاء ولا أراد ما فعل من زيادة المرض في قلوبهم وهو الشك والكفر وكيف يفعل ا مالا يريد أن يفعل وهل هذا إلا إلحاد مجرد ممن قاله وقال تعالى ولو شاء ا ما أقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء ما اقتتلوا ولكن ا يفعل ما يريد فنص تعالى على أنه لو شاء لم يقتتلوا فوجب ضرورة أنه شاء وأراد أن يقتتلوا وفي اقتتال المقتتلين ضلال بلا شك فقد شاء ا تعالى كون الضلال ووجوده بنص كلامه تعالى وقال D ومن يرد ا فتنته فلن تملك له من ا شيئا فنص تعالى على أنه أراد فتنة المفتتنين وهم الكفار وكفرهم الذين لم

يملك لهم رسول ا A من ا شيئا فهذا نص على أن ا تعالى أراد كون الكفر من الكفار وقال تعالى أولئك الذين لم يرد ا أن يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم .

قال أبو محمد وهذا غاية البيان في أنه تعالى لم يرد أن يطهر قلوبهم وبالضرورة ندري أن من لم يرد ا أن يطهر قلبه فقد أراد فساد دينه الذي هو ضد طهارة القلب وقال تعالى ولو شاء ا لجمعهم على الهدى وهذا غاية البيان في أن ا تعالى لم يرد هدى الجميع وإذا لم يرد هداهم فقد